مداخلات لغوية

أبو أوس الشمسان

أستاذنا الحازمي..

مـا رأيـت أحـداً مثـل أسـتاذنا الدكتور منصور إبراهيـم الحازمـي زويت له العلـوم والثقافات، فهو المعلـم الأكاديمـي وهـو الأديـب والشـاعر والناقد، واشـتهر بتعلياته ونوادره اللطيفـة التي تسـعد من حوله، وهي صفـة نادرة، وهو في كتاباتـه ربما نحا أسـلوباً طريفـاً سـاخراً حتـى قرنه الدكتـور أحمد غانم بالجاحـظ والمازني من أدباء العرب السـاخرين، الذي يعرف الأسـتاذ عن قرب يجـده يجمع بين أمرين متناقضين الجـدّ والهزل، ولعل اسمه موافق لرسـمه؛ فحازمي نسـبة إلى (حازم)، وإن عكسـت القراءة قلت (مـزّاح). وآية ما ذكرتـه من أدبه ودأبه أنه حين كرمه قسم اللغة العربية يوم الأربعاء قبل الماضي ١٠-٣-١٤٣١هـ لم يكتف بالكلمة الرصينة التي ارتجلها يشـكر فيها المتحدثين، بل أخرج من جيبه ورقة قد كتـب فيها قراءة لموضوعات الكتـاب الذي أهداه إليه القسـم، وكانت كتابته، وإن سـماها مخربشات، قطعة أدبية نقدية حازمية الطرافـة ممتعة أيما إمتاع، لابد أنه كتبها بعناية واقتدار عجيب.

ويعـود الذهن بي إلى أيام التلمذة حين كنت وزملائي ننتظر محاضرة أسـتاذنا الحازمي بشـغف؛ إذ لم تكن كأي محـاضرة؛ فهي مزيج مـن العلم والأدب، كان وقت المحـاضرة يمضي سريعاً دون أن ندرك، وأذكر دليلاً على تمكنه وحفظه أنه قدم لـلأدب الحديث بمحاضرة قالها عن ظهر قلب على التحولات السياسـية والاجتماعية التي واكبت النهضة الأدبية الحديثة في العالم العربي.

وبعـد أن عـدت من البعثـة وتشرفـت بالانضمام إلى عضوية التدريس في قسـم اللغـة العربية ازددت معرفة بأستاذنا؛ فعرفت فيه الجانب الإداري المتصف بالحكمة والمرونة والمبادرة، كان قسم اللغة العربية في أيام رئاسته مزدهـراً يعج بالطلاب؛ فكان يلقاهم في مكتبه مشـتكين من بعض أسـاتذتهم؛ فيسمع لهم ويوجههم وينصحهم أن يراجعوا الأساتذة أنفسهم.

أما أنا فلست أحصي أياديه البيضاء عليّ وكرم تعامله؛ فلست ألقاه إلا محيياً إياي مرحباً، وربما موجهاً بلطف، أذكر أنه سألني مرة عن أستاذنا المرحوم الدكتور حسن شـاذلي فرهود، فقلت له: لا أعلم فمنذ مدة طويلة لم أره، فقال: حرام عليك هذا أستاذكم.

ومن مواقفه النبيلة التي لا أنساها أنه صادف دخولنا المصعد معاً فنظر إليّ فأدرك بذكائه وفطنته أنني كاسف البـال، فلم يتركني بل قال: ما لَك؟ فقلت له إن أسـتاذي الدكتور يوسف خليف يحتفل به الليلة لنيله جائزة الملك فيصـل ولـم أدع إلى الحضور؛ فقال: لا تهتـم، بعد قليل تصلك الدعـوة. وبعد قليل من وصـولي مكتبي جاءتني الدعـوة الموجهـة لـه شـخصيّاً، آثرنـي بها ولم يشـهد الاحتفال.

◆ الرياض

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتب«٧٩٨٧» ثم أرسلها إلى الكود ٨٢٢٤٤

مساقات

أ.د. عبد الله بن أحمد الفَيفي

العقل - اللاعقل!

معادلـة (العقـل) و(اللاعقـل) معادلـة دقيقـة جـدًّا. مـن أسرف في تمجيـد الأوّل قد يصـل بـه إلى الآخَر. ذلك أن إعلاء شـأن العقل لا ينفـي أنـه بذاته قاصرٌ عن فهـم كلّ شيء، ولا أن هنـاك أسرارًا في الكون يعجز العقل عن بلـوغ أمرهـا. ولو حكم امرؤٌ عـلى ما لا يعلم أو يفهـم على أنـه لا شيء، أو أنكر منطقه، أو ألحد في وجوده، لـكان أجهل الأجهلين. ولنا في ما نرى في حياتنا البشريّة أمثلة عدّة. فليأخذ- على سبيل المثال- أشـدّ الناس عبقريّة جهازًا مـن هـذه الأجهزة المعقّـدة التي تُسـتعمل في الحياة اليوميّة: حاسـوبًا، أو جـوّالا، أو حتى لعبة أطفال. حتمًا سـيجد - بمقاييس فهمه وإدراكـه - نقاط غمـوض، وظواهر تناقض، وجزيئـات أو أجـزاء من الجهاز الـذي أمامه تلفّهـا عتمـة اللامعنى، وربمـا حطّم الجهاز - أو حـاول تحطيمه - في حالة هسـتيريا من اللا فهم. فـإنْ هو انطلق من ذلك ليحكم على الجهـاز كلّـه بأنه عَبَـثٌ، أو بلا منطـق، وأن صانعه أرعن أحمـق، بل إن الجهاز برمّته بلا مبدِع حكيم، كان غبيًّا جهـولاً كفورًا. وبهذا المثـلً يمكـن النظـر إلى الكـون، هـذا الجهاز اللانهائيّ البالغ التعقيـد. فما كفر الكافرون بالله إلاّ لأنهم كذلك الذي لم يفهم الحكمة من بعض آلته التي صنعها أخوه الإنسـان فحَكَم عليها كلّهـا بالبطلان وعلى صانعهـا بالعَتَه. وإلاّ لـو كان العقل عقـلاً لدى أولئـك جميعًا لما أسـقطوا الكليّ بحكم الجزئيّ. أي لما أدّاهم الاستشكال في بعض الموضوع، أو قيام أسئلة حائـرة الإجابات في بعضه، إلى نفيـه بالكليّة. ذلـك أن الجمـال والإبداع في الكـون والحكمة البالغة في آليات تسيبره ظاهرة من أصغر ذرةٍ إلى أعظم كوكب، وليس ما لا يفهمه الإنسـان مـن أسرار هـذا الجهـاز الهائـل إذن إلاّ كتلك الأشياء الجمّة التي يمكن له ألا يفهم أسبابها ولا يعي مغازيها من جهاز يدويٍّ صغير تافه يستعمله يوميًّا وهو يحار في كثيرٍ من أسراره. فيا للإنسان من جهول حين يغترّ بقدراته وهو بهذه المحدوديّة والمحصوريّة! وهو ما عبّر عنه القرآن أبلغ تعبير في الآيات: {قُتِلَ الإِنسَـانُ مَا أَكْفَـرَهُ، مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَـهُ، مِن نُّطْفَة خَلَقَهُ فَقَـدَّرَهُ، ثُمَّ السَّـبِيلَ يَسَّرَهُ}. (سـورةً عبس: ١٧- ٢٠). و» قُتِلَ الإِنسَـانُ» ليس دعاء عليه، على الأسلوب العربيَ التوبيخيّ الذي ليس على ظاهـر معناه مـن الدعاء بالهـلاك، ليس ذلك فحسب، ولكن الآية تحمل كذلك تعبيرًا عن أن الإنسان يقتل نفسه بنفسه حين يكفر بكامل ملكاتـه، ويحكّم مَلَكَةً واحـدة حتى تُلغي ما سواها، بل قد تُلغي نفسها، حين تتصوّر فيها كُمُون القدرة المطلقة عـلى الفهم. ولقد أثبت العلـم نفسـه أن العقـل غير قادر عـلى إدراك كلّ شيء، بـل إن العقل الإنسـاني ليس الذهن الرياضيّ فقط، أو الحاسوب الدماغيّ القارّ في الجمجمـة، وإنما هناك ما قـد يَصْدُق إدراكه بغير ذلـك الحاسـوب، بالحدس أو الفراسـة ونحوهما مما يسمّى بالحاسّة السادسة فما فوقها، ممّا لا سـبيل لمنطق العقـل المجرّد إلى إدراكه أو حسـبانه. بل إن هنـاك من ملكات الإدراك ما قد يتفوّق فيه الحيوان على الإنسان، بما في ذلك الكلاب التي يحتقرها الإنسـان، أو الحمـير، التي يضربها مثـلاً للغباء. ومن تلك القـدرات ما قـد لا توجد لدى الإنسـان أصلاً؛ كحاسّة التنبؤ بقرب وقوع الزلازل.

ونريد بهـذا الخلوص إلى أن العقل نفسـه ينبغـي أن يُنظر إليه بعقلانيّـة وواقعيّة، وإلاّ أدانـا الاغترارُ بقدراته إلى الـلا عقل. إن العقل البـشري بذاته جهاز مـراوغ إذن يجب الحذر مـن منزلقاتـه قبـل أن نحكّمـه في غـيره. إلاّ أنّ هـذا لا يهوّن من شـأن العقـل، فهو يظلّ أصدق مرشدٍ وأهدى من غيره سبيلاً، في إطار الممكنـات البشريّـة. يظلّ الـسراج في ظلمات الكـون، وإن كانت هـالات السِراج قـد تخيّل إلينا من تهاويل الأشباح والظِّلال ما لا نراه في الظلماء، فإنْ لم نتأمّل مليًّا زاد سراجُنا أعيننا عشًى وخادعتنا المرائي والأشـكال وتاهت بنا الطرق.

ونحـن في عصر تجـاريٍّ، أصبـح كلّ شيءٍ فيـه تجـارة، بما في ذلـك العقـل، والعواطف، والإنسـان، والطفـل والمـرأة. كلّ شيء أصبح وسـيلة ربِح ماديّ. وما تكسب به فالعب به! لنأخذ مثلاً على هذا المستنقع الثقافيّ التجاريّ المجنـون، المربّي للاعقل، ممّا راج أخيرًا، حول تلـك اللعبـة المصنوعة مـن جينات إنسـانيّة وحيوانيّة، وتأكل وتشرب وتنمو وتبكي، وإذا جُرحت تنزف، بعضها يعيش لمدّة سنة وأخرى لمدة ثلاث سنوات، ولها ألوان مختلفة مشابهة للإنسـان.. وقـد منعتها الـدول الخليجيّة لأن فيهـا تقليـدًا لخلق اللـه. إلاّ أن هـذا ليس إلاّ جانبًا واحـدًا ممّا تحمله تلـك اللعبة. كما أن هناك عـشرات الألعاب في الأسـواق الخليجيّة والعالميّـة لا تقـلّ سـوءًا. وما أمامنـا من تلك المنتجات المسـوّقة للأطفال اليوم هو مسوخ لا ألعاب، سـواء من حيث الشكل أو الكيفيّة. وعـلى المسـتوى التربـو يّ، فـإن مثـل هـذه الألعاب سـتربّي في الطفل القُبـح، وتربّي فيه التعامـل بآليّة مطلقة مـعٍ المخلوقات الحيّة. إنّ فيها إذن اعتداءً صارخًا على الطبيعة وعلى الفطرة مـن وِجهين: الأوّل تحبيـب الطفل في القبيح شـكلاً وسـلوكًا. وإلاّ لماذا تكون لعبة طفل بذلك التشـويه المقزّز؟ لقد كانت ألعاب الأطفـال التقليديّـة يُحرص فيها عـلى تربية الحسّ الجماليّ في الطفل، وتحبيبه في الطبيعة والمخلوقات، فيمـا الألعـاب الحديثة تحرص على تربية الحـّس القبحيّ في الطفل، بدءًا من أفلام الكرتون إلى أمثال تلك الألعاب المسـخيّة، وصولاً إلى ألعاب العنف والقتل وسـفك الدماء في ألعـاب البلايستيشـن ونحوها. وإن سـوق هذه الألعاب الأخيرة في السعوديّة يقدّر بـ٧٠٠ مليون ريـال (١٨٦,٦ مليون دولار)، كما جاء في تقريـر في (جريدة «الشرق الأوسـط»، عدد ١٠٤٦١، الجمعـة ٦ رجب ١٤٢٨هـ ٢٠ يوليو ٢٠٠٧م، ص١)، وبعضهـا يقـود في الغالب إلى الميـل إلى العمليّات الانتحاريّـة. فلا غرابة إذن أن تنشأ تلك اللغة المسلكيّة الجانحة إلى العنف لدى ناشئتنا، مكتسبةً من خلال مشاهداتهم التلفازيّة، أو ألعابهم الإلكترونيّة، بما تشكّله دواخلهـم مـن عوالم أقـوى من كل دروسـنا ومناهجنـا التربويّة؟ وتفصيل ذلك في مقال لي بعنوان «تربية العنـف»، نشرته قبل أكثر من سنتين في «مجلة القافلة» (نوفمبر- ديسمبر، ٢٠٠٧، ص٢٤- ٢٥). انظـر المقالـة على رابط المجلّة:
http://www.saudiaramco.com/irj/go/km/docs/SaudiAramcoPublic/Publications/AR/AlQafilah/pdf.p١٢to٢٥/٢٠٠٧_NovDec

إن أطفالنـا غارقـون فيما لا يعلـم الآباء، والأسـواق تتاجر بعقولهـم وضمائرهم. مع أن بعـض تلك الألعـاب ممنوعة حتى في بلدان تصنيعهـا. أم ترى يلزمنا أن نكون يسـاريين أو معاديـن لأمريكا لنرى صواب قول الرئيس الفنزويلي تشافيز - الذي تناقلته بعض وكالات الأنباء مؤخرًا -: إن ألعاب البلايستيشـن سمٌّ، وأنهـا تعلّـم الأطفـال القتل، وأنهـا جزء من ثقافة رأسـماليّة لـزرع العنـف وترويج بيع الأسلحة في العالم؟!

كمـا أن تلـك الألعـاب حَريَّة بـأن تنمّي في الطفل الإحسـاس بأن الطبيعَة مجرّد أشياء، حتـى الكائنـات الحيّـة فيهـا، وأنهـا تعمـل بطرائـق آليّـة. بـل إن الحياة والمـوت والقتل والجسد والجروح والدماء وما إلى ذلك لا تعدو مجـرد ألعـاب، يعايش الطفـل التعامل معها كتسـليةٍ في صغره لينشـأ على تبلّد الإحساس بهـا في كـبره، ومن ثم سـيتعامل مـع الناس والأحيـاء، كما كان يفعل مع ألعابه تلك. ومن ثم فلا غرابة أن ينشـأ جيلٌ إرهابيّ، مشـوّه، متوحّش، سفّاح، آليّ، بلا عواطف ولا فِكر ولا روح.

لذلك أعتقد أن هذه الألعاب- وبغض النظر عـن التحفّظات الدينيّة عليهـا- بالغة التأثير سـلبًا على سـويّة الطفل العقليّة والنفسـيّة والشـخصيّة والاجتماعيّة. ولستُ أدري في أي إطار عقـليّ، معرفيّ أو تربـويّ، يرى الآخرون خـلاًف ذلـك. وقـد كان ينبغـي إنْ كانت لهم فلسـفة أخرى مقنعـة أن يقدّموها بين يدي ألعابهم. أمّا أن تُصبح التجارة سـبيلاً ليصبح الأطفـال أنفسـهم ألعابًـا في أيـدي الشركات التجاريّـة المنتجـة لتلـك الألعـاب، فجريمـة إنسـانيّة عالميّة وإرهاب تربويّ وابتزاز ثقافي وكارثة حضاريّة.

فضاءٌ آخر:
أحلِّـقُ.. الفضاءُ خاتمـي.. مرجانُ المعاني أصابعِي..
لِكلِّ أبَدٍ، كتبتُ..، ولم.. أنكتبْ..
أهْطَلْتُ ما لنٍ ينكتب..
نبـتُّ قصيدةً انكسر الليلُ في حقولها فلم..
يعرف النهارُ طريقَ العودة..

مـن مجموعـة الشـاعرة غاليـة خوجة، بعنـوان «الملحمة المجنونة»، سلسـلة : شـعر الاختـلاف، ٢٠٠٥، نـص «حـدوس غائمـة». والمجموعة تجربةٌ جدّ مخضلّة بتحدّي الجمال المشـعّث الجنون. تندرج في ما أسمّيه قصيدة «النَّثْرِيْلَـة». وهـي- كمـا عرّفتهـا في مقـام آخر: قصيـدة ذات أبنية إيقاعيّـة، لكنها غير منضبطة عـلى التفعيلة، ولا تخلـو أيضا من الاحتفاء بالتقفية. ومـن ثَمَّ فهي لونٌ جديد، يقع بَيْن بْـين، أي بَيْن قصيـدة النثر وقصيدة التفعيلـة. وهـي- في تقييمي- أحـدث مولود تمخّـض عنـه الشـكلان التفعيـليّ والنثريّ، وأقرب ما ولّدته الحساسيّة النثريّة التجريبيّة الحديثة انتماءً إلى الشِّعريّة العربيّة.

aalfaify@yahoo.com
http://khayma.com/faify

◆ الرياض

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتب«٥١٥١» ثم أرسلها إلى الكود ٨٢٢٤٤